فعل الاختيار والتلقي والنظريات الادراكيه

١) طروحات (J. Piajet) :

يؤكد "Piajet" بان مصادر المعرفة هو ما يعرفه الإنسان وما ينجم عنه كنتيجة لما يتعلمه من بيئته الاجتماعية والمادية، أي من عالم الناس والأشياء. إن وجود الكائن بصورته السليمة لها علاقة بمفهوم التعلم (learning) أو التعرف (knowing) ويعتبر (Piajet)بان هناك عوامل تؤثر في عملية التعلم:

_ عوامل اجتماعية social factors
_ عوامل مادية physical factors

هذان العاملان يؤثران في مفهوم التوازن (balance)، فالتوازن يعني الكيفية التي يستطيع الإنسان من خلالها تنظيم المعلومات المتناثرة (information) وضمن نظام معرفي غير متناقض، فهي لا تنجم عما يراه الإنسان بل إنها تساعد على فهم ما يراه وعن طريق تلك القدرة والتي يستطيع الإنسان من خلالها وبصورة تدريجية الاستدلال على الكيفية التي ينبغي إن تكون عليها الأشياء في هذا العالم.

إن عملية التوازن تبدأ بشيء اسمه الاضطراب (disturbance)، حيث يشعر الإنسان بان هنالك شيء ما ليس على ما يرام، وكنتيجة لذلك يحدث ما يسمى بالصراع (conflict) بين ما هو متوقع ما يكون وما يكون عليه بالفعل.

وان الاضطراب يطلق بعض التنظيمات (regulations) بغية التخفيف من حديته ومن خلال أنماط مختلفة من التنظيمات .

وبذلك فإن آلية التصورات تبدأ من خلال سلسلة من الاضطرابات (disturbances) ناتجة عن ما يسمى بالصراع (conflict) وعن طريق سلسلة من الأفكار (ideas) حيث يطلق الاضطراب مجموعة من التنظيمات ترتبط بتلك الأفكار بغية إحلال حالة الموازنة أو التوازن بين ما مطلوب وما يجب أن تكون عليه الأفكار أو المعلومات، وما يحدث بالفعل، وهو كمثيل ناتج عن الصراع، كما في الشكل

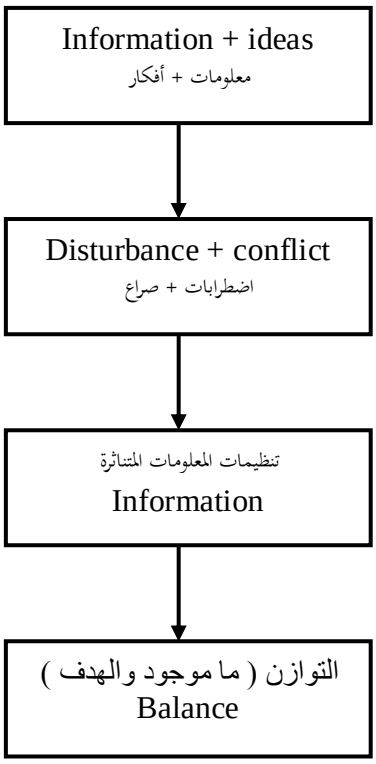

الشكل يوضح سلسلة من العمليات الذهنية بغية التوصل إلى حالة الموازنة للهدف

تشير التنظيمات (regulations) بان أي متغير إدخال أو إخراج (input, output) في النظام (system) يؤثر في ذلك النظام ومن الممكن إن تحدث تغيرات (changes) في عناصر النظام نفسه ، مما يسبب نوعاً من التكافؤ والتقليل من الحساسية (sensitivity) اتجاه تأثير ذلك المتغير. وقد يكون ذلك التنظيم :

- تنظيماً ساكناً (static regulation) : عندما يحدث التكافؤ من خلال المركبات (components) المكونة للنظام أو من خلال الروابط (linkages).
- تنظيماً متحركاً (dynamic regulation) : عندما يرتبط بمفاهيم مثل السيطرة (control) أو العملية الارجاعية (feed back) ، بغية التوصل إلى لتنظيم لمطلوب .

ومن ذلك فان التنظيم أما أن يرتبط بعناصر النظام نفسه أو الروابط فيما بينها من خلال العلاقات فيكون التنظيم استاتيكياً، أو أن يرتبط بعمليات النظام من خلال السيطرة أو العمليات الارجاعية فيكون ديناميكياً أي أن التنظيم يرتبط :

- العناصر او المركبات (components).
- العلاقات والروابط (relations & linkages)
- عمليات النظام نفسه من سيطرة (control) أو عمليات ارجاعية (feed back) .

ويشير (J. Piajet) بأنه بعد اكتساب الخبرات ومن العمليات السابقة يظهر مفهوم التكيف (adaptation) وهو الهدف الأساس في إحداث حالة التوازن والتي ترتبط بالعمليتين السابقتين .

- التمثل (assimilation)
- الملائمة (accommodation)

إن هاتين العمليتين ليست نوعاً من أنواع التنظيم، فالتمثل يشير إلى عملية تغير الخبرات الجديدة إلى خبرات مألوفة، أما الملائمة فهي تمثيل لعملية الانتباه (attention) والتي تختص بصورة كلية بالتجربة الجديدة وبصورة مستقلة عن الخبرات السابقة، فالملائمة ومن دون التمثل قد تؤدي إلى نتائج خاطئة .

وقد ميز (Piajet) نوعين من المعرفة (knowledge):

- معرفة شكلية (figurative knowledge)
- معرفة عقلية أو إجرائية (operative knowledge)

فالأولى تشير إلى معرفة المتغيرات بمعناها الحرفي، أما المعرفة العقلية فإنها تنطوي للتوصل إلى الاستدلال .

يربط (Piajet) التمثل (assimilation) بالعملية الذهنية "mental process " وعلى وفق ما يسمى بعمليات الاستيعاب الذهنية (mental assimilation processes)

فالعمليات الذهنية الخاصة بالاستيعاب تكون استناداً إلى تصور الإنسان بيئته كنظام ثلاثي مستقر، مكون من أشياء ذات معنى تؤثر في عملية الإدراك والتي تعبر عن عملية تفاعل ثلاثي في معرفة الشيء كحصيلة نهائية استناداً إلى العمليات التالية :

- الإدراك الحسي (perception) : الذي يرتبط بعمليات استلام المعلومات (information) من البيئة الفيزياوية وعنها، فبذلك، فانه يعبر عن الميكانيكية الرئيسية التي تربط الإنسان بالبيئة والمحيط .
- الإدراك المعرفي (cognition) : ويستند إلى عمليات تحليل وتصنيف للمعلومات المستعملة من البشر في عملية التحسس وتنظيمها في هيكل خاص يختلف تبعاً للتوجهات .
- الدوافع (motivations) : التي تعد بمثابة القوى الكامنة في توجيه السلوك البشري بغية إشباع متطلباته الحسية، حيث أن هذه العمليات تتم من خلال إسهام الأشياء والبيئة وان تأثيراتها تظهر استناداً إلى انساق السلوك (patterns of behavior) كما في الشكل.

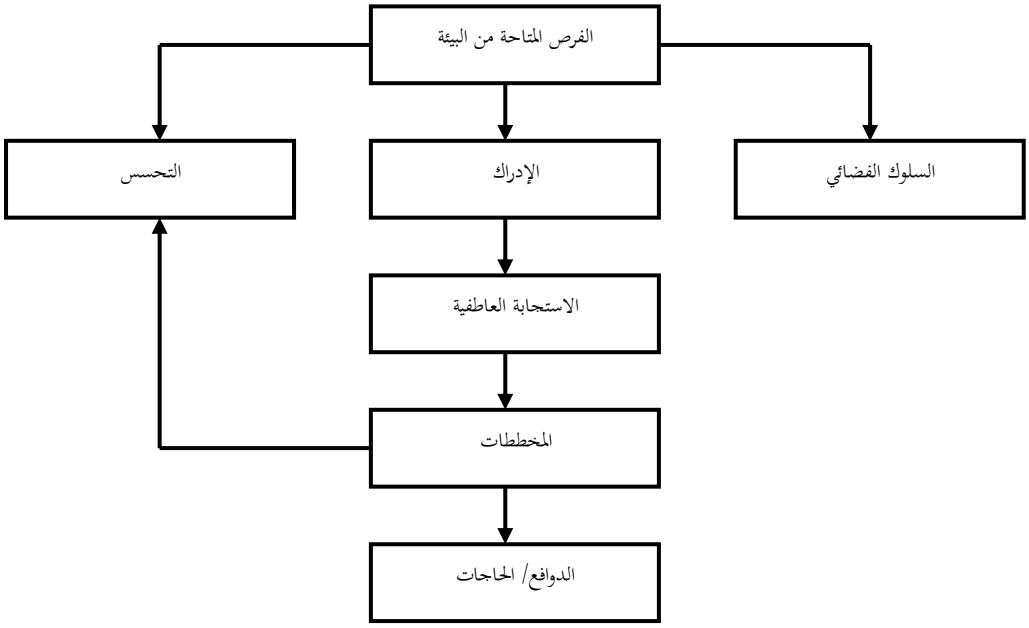

شكل يوضح نموذج العمليات الأساسية للسلوك البشري،

أما فيما يخص الملائمة (accommodation)، وحسب طروحات (Piajet) فإنها تربط الإنسان ببيئته الاجتماعية والمادية (physical & social environment)، فتظهر من خلال ذلك الحاجات النابعة من تعامل الإنسان مع القيم الخالدة في الطبيعة وكمحاولة لاستثمارها وتحسينها بغية خدمة متطلباته الفطرية والمكتسبة وقد حدد (Maslow) ذلك استناداً إلى :

- الحاجات الفسيولوجية (physiological needs) : والتي تعتبر أساسية، ويؤثر توجيهها وسيطرتها في وجود الكائن الحي وعلى مجالات الخبرة المتكونة.
- حاجات الأمن (safety needs) : والتي تتمثل بالإحساس بالاستقرار والحماية.
- حاجات الانتماء (belonging needs) : والتي تظهر استناداً إلى علاقة الفرد بالجماعة وفي علاقات الجماعات مع بعضها بشكل يعتمد على العامل الاجتماعي، مما يؤدي إلى عدم الشعور بالتغريب (alienation).
- حاجات الاحترام (esteem needs) وتتحقق حاجتها بعد الشعور بالانتماء وعلى وفق مفاهيم التفاعل الاجتماعي وتؤثر تلك في مفاهيم مثل الأخلاق (ethics).
- حاجة تحقيق الذات (self – actualization) : وهي بمثابة طموحات الإنسان النهائية، وكتعبير عن رسالته في الحياة التي تلعب دوراً أساسياً في بناء المجتمع .

يركز (J. Piajet) على المفاهيم الأساسية التي تلعب دوراً في الإدراك والذاكرة من خلال :

- الانتباه (attention)
- الذاكرة (memory)
- الربط (linkage)

فالانتباه والذاكرة تلعبان دوراً أساسياً في تحليل المعلومات (information analysis) أما عملية الربط فإنها تمثل عملية تنسيق عقلية محضة، باعتبار ان عمليات التنسيق الذهنية واستناداً إلى الباحثين (كلار، دلاس) تعبر عن حالة وصفية لعمليات التغيير (change processes)، باعتبار أن عمليات تحليل المعلومات ترتبط بالية حل مشكلة معينة (specific problem solving) .

إن حل المشكلة و التعلم (learning) هي بحد ذاتها عملية تنظيم ذاتية (self organizing) تؤدي إلى فهم العلاقات ما بين عناصر المفهوم الواحد المحدد، وفهم كيفية ربط ذلك المفهوم بالمفاهيم التي سبق تعلمها بالاستفادة من الخبرات الخام .

وان التنظيم الذاتي يرتبط بمفهوم التجريد التأملي (reflective abstraction) فهو يشير إلى الطريقة التي يستطيع بها الدماغ ان يعطي نظام معلومات تتفاعل وتترابط عن طريق النشاط العقلي ذاته وليس كحالة تحمل للإحداث خارج الذات، فالكفاءة العقلية تعتمد على ربط المعلومات المتناثرة، وهي ناتجة عن عملية تجريد عقلي تأملي تتجاوز حدود كثيرة ومن ذلك فان ما يقوم به النسق على حل مشكلة يعتمد أساساً على عملية المعلومات (information) ومن خلال عملية تنظيم لتلك المعلومات التي غالباً ما تكون مشوشة،

ناتجة عن ارتباط الإنسان بالبيئة ومن خلال مقوماته الحسية، فتحصل التجربة، وان العملية الذهنية ترتبط بالنشاط العقلي القائم على ربط الأحداث وتلك ترتبط بعمليات ذهنية ترتبط أساساً بالتجربة، وعلى مقدار ما يعرفه الإنسان عن البيئة استناداً إلى مقدار المعلومات المتوفرة في الدماغ، عندئذٍ يقوم الدماغ بعملية تحليل لتلك المعلومات، والربط ما بينها وعلى وفق الآلية التي تخدم حل المشكلة، واستناداً على ما متوفر من خزين، فكلما كانت التجربة كبيرة والمعلومات المتوفرة والمخزونة في الحافظة هائلة كلما كانت التجربة غنية، وامكانية حل المشكلة واعطاء البدائل متيسرة، أي بالإمكان إعطاء اكثر من حل للمشكلة وبالاعتماد على مبدأ التعلم (learning) . أي أن الأنساق الذهنية والتي ترتبط بالحلول تعتمد على مبدأ التعلم والتجربة أولاً، ومن ثم تبدأ العمليات الأخرى من انتباه وذاكرة كشيء مساعد في عملية تحليل المعلومات أو الربط ما بين الأحداث، كما في الشكل.

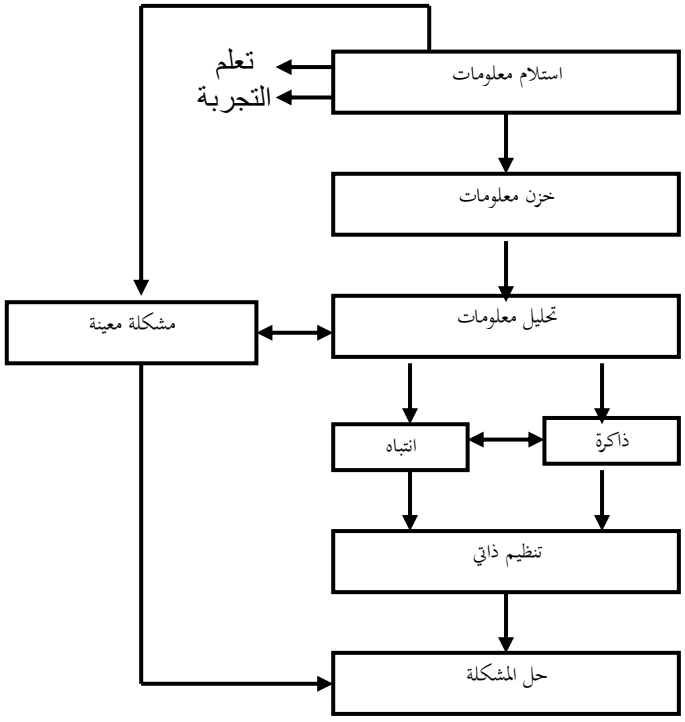

شكل يوضح العلاقة ما بين المشكلة وحلها، والمعلومات والعمليات الذهنية بالاستناد الى الذاكرة والانتباه والتقييم الذاتي

ان أساس حل المشكلة يقوم على المعلومات (information) وكثيراً ما ترتبط تلك بعمليات التجريد (abstraction)، حيث يشير " د. فؤاد زكريا، 1988 " بان حقيقة التجريد تتضمن الكثير من العلاقات ما بين الأشياء اكثر من الأشياء بذاتها، فهي تشير إلى العلاقات التي تسهم في تكوين شكل النسق أو تمثيله، فالعلوم كالرياضيات والهندسة تتعامل من خلال العلاقات ما بين الأشياء اكثر من الأشياء بذاتها . وان صفة التجريد التي تبدو أنها تباعد ما بين العلم والعالم المحسوس هي التي تكسب الإنسان مزيداً من السيطرة على هذا الواقع، وتتيح له فهماً افضل لقوانينه المملوءة بالرموز المجردة بذاتها كي يتم السيطرة على ذلك العالم من خلال تجريده من صفاته العينية المألوفة .

يشير " Piajet " بأن هنالك ثلاث مرتكزات أساسية للنسق الذهني :

١- التطور (evolution) : المرتبط بنمو الشعور (feeling) أو ما يسمى بالوعي، حيث أنه لا يمثل عملية بسيطة تهدف لاكتساب مزيداً من المعلومات (information) عن الحقائق الخارجية والحقائق المطلقة، فالوعي الذي يحدده (piajet) هو ازدياد حساسية الإنسان للطريقة التي تستطيع به نشاطاته وأفكاره في إقامة بناء إيجابي أكثر مرونة وتكيفاً لهذا العالم، لذا فأنه يعرف عن الوعي أية علاقة بالحقيقة المطلقة .

٢- التعرف (knowing) : فهو يمثل جانباً أكثر من الاهتمام بالتمييز (recognizing) وعلى وفق العلاقة والارتباط ما بين مفهومي (التمثل والملائمة) والتي تقوم على وحدة تفاعلية ما بين الاثنين .

٣- الصراع (conflict) : يعتبره (piajet) أساساً في عملية التطور والنمو، باعتبار أن القديم يتصارع مع الجديد، حتى يتم اتحاد القديم والجديد استناداً إلى مفهوم التوازن الجدي في نظام جديد (new system) للفهم وعلى وفق درجة الارتباطية ما بين مفاهيم التنظيم (regulation) والاضطراب (disturbance)،

فالتنظيم جوهر الموازنة، فالمتعلمون لا يتذكرون الثوابت، بل يقومون ببناء هذه الثوابت وذلك عن طريق سلسلة من الأفكار (ideas) المعدة .

عندما يحدث التنظيم الذاتي، فأنه تظهر الحاجة إلى المرور بخبرة بعض أنواع الاضطراب حيث أن هذا الاضطراب ينجم وفي أحيان كثيرة عن التعارض ما بين التنبؤ والنتيجة . فعند تعرض أي نظام للاضطراب، فعليه أن يتخلص من ذلك الاضطراب أو أن يتكيف معه، فإذا كان الاضطراب قاسياً، فالنظام سيفقد توازنه وتماسكه وتكامله ولا يبقى كنظام ثابت، فالإنسان الذي يحمل معلومات والتي تعمل ككل متكامل، فعندما تدخل معرفة جديدة، تهز تلك الافتراضات التي يقوم عليها الإنسان، فأما أن يرفض هذا الاضطراب الجديد بصورة كلية أو أن يتكيف معه، بشكل يؤدي إلى خلق حالة جديدة من الموازنة ما بين الأنساق (patterns) المتكونة في ذهن الإنسان

وبذلك فأن الرؤيه حول التطور تكمن من خلال :

أن أي نسق ذهني يرتبط بمفهوم التطور (evolution) كحالة حتمية للحركية البيئية . وعندما يحصل التطور فأن ذلك يرتبط بإضافة معلومات جديدة (new information) يشكل يؤدي إلى حصول حالة من الاضطراب (disturbance) في التنظيم، بسبب المعلومات الجديدة، الأمر الذي يؤدي إلى نوعاً من الصراع (conflict) ما بين المعلومات القديمة التي تشكل النسق والنظام، والمعلومات الجديدة كمدخلات جديدة، وتحصل حالة التوازن (balance) أما بالتكيف مع المعلومات التي تمثل الحالات التطورية الجديدة أو من خلال رفض تلك المعلومات، والإبقاء على النسق القديم، مما يسبب حصول حالة اللاتكيفيه ما بين الواقع والنسق .

(2) **طروحات الجشطاليون (Gestalt):**

يرتبط مفهوم الجشطات بما يلي:

- الصيغة (feature)
- الانموذج (model)
- الشكل (figure)
- الهيئة (shape)
- النمط (type)
- البنية أو الشكل المنظم (structure)

والجشطالت كل مترابط الأجزاء باتساق وانتظام، وهو عبارة عن نظام تكون فيه الاجزاء المكونه له مترابطة ترابطاً ديناميكياً فيما بينها ومع الكل، باعتبار أن كل جزء فيه دوره ومكانه و وظيفته.

تتصف الجشطالت بالمفاهيم الأساسية التالية :

- الاستبصار (insight) : ويرتبط بتحديد موقف بغية تحديد انطباع يتصف في آلية عمل الحلول (solutions) المناسبة ومن خلال فهم ترابط الأجزاء للمشكل وطريقة عمله، والاستبصار يرتبط بالتعلم والتجربة (learning & experience).
- الفهم (understanding) : ويعتبر الحالة التكميلية للاستبصار، فأن حدث اكتملت التجربة وتحقق التعلم .
- التنظيم (organization) : ويرتبط بفهم بنية الجشطالت، حيث أن معرفة الجشطالت واستبصاره تعني التعرف على بنيته وكيفية تنظيم تلك البنية.
- إعادة التنظيم (re organization) : والتي ترتبط بالحالات التي من العسير وضع حلول لمشاكل (problem solving) قائمة بمواجهتها لاول مرة. ولا يكون الحل (solution) ممكناً إلا بوضوح الملامح الرئيسية للمشكلة (problem features) ومعرفة أبعادها وارتباطاتها، حيث أن التجربة والتعلم تؤدي دائماً إلى تغيير إدراكنا الأولي . إن إعادة التنظيم وحسب (الجشطالتيون) تعني إبعاد التفاصيل التي لا جدوى لها وتصبح الملامح الأساسية للمشكلة بارزة كي نراها على حقيقتها أكثر وضوحاً.
- المعنى (meaning) : فالسياق النسقي يتطلب الانتقال إلى موقف تكون فيه الأشياء أكثر معنى، بحيث أن العلاقات ما بين الأجزاء تكون مفهومة.
- الانتقال (transfer) : يعني الانتقال في المواقف كنتيجة للاستبصار وهو التدريب في حل المشكلة المرتبطة بالأنساق إلى حالاتها الأكثر ملائمة.

- الدافعية الأصلية (intrinsic motivation) : وهي تعبر عن العلاقة ما بين الاستبصار والتوصل إلى الفهم المرتبط بمفهوم تعزيز حل المشكلة .

ومن ذلك فان آلية حل المشكلة المرتبطة بالنسق (pattern) وعلى وفق التصور الذهني واستناداً إلى رؤية الجشطالتيون ترتبط بمفهوم استكشاف البيئة المرتبطة بالمشكلة استناداً إلى الاستبصار، ومن ثم حصول حالات الفهم، وحالات التنظيم حول الربط ما بين المعطيات الذهنية، وكيفية تكون بنية الجشطالت، أي أن الحل يرتبط بتكوين بنيه (structure) خاصة بذلك، ويتم إنضاج تلك البنية استناداً إلى إعادة التنظيم (reorganization) من خلال استبعاد كل شيء لا يتلائم مع الحل، ومن ذلك فان النسق (pattern) يكون بنية (structure) ترتبط بالنسبة لحل المشكلة والذي يعتبر الأساس، واستناداً إلى رؤية ورسم الملامح الأساسية لذلك نحو منحى كلي (whole)، والتي تكتمل خطواته استناداً إلى تكون المعنى، وبالاعتماد على رؤية وكشف العلاقات والارتباطات ما بين الأجزاء، فالنسق يهتم ببنية الحل والعلاقات ما بين الملامح الأساسية التي تشكل ذلك .

ويرى الباحث " Arnheim،1977 " أن النمط الأولي (prototype) يتضمن معنى هو النموذج أو النسق (pattern) القائم على الاستبصار في العلاقات الداخلية وعلى وفق ما نريد أن نعرفه أو نتعلمه، وليس بناء العلاقات بصورة تدريجية .

وترى النظرية الجشطالتية (Gestalt theory) بأن الكليات هي الأساس وهي التي تحدد طبيعة الأجزاء والتي تكون هذه الكليات . فالتحليل ينبغي أن يكون من الأعلى إلى الأسفل (top – down) وليس من الأسفل إلى الأعلى (button – up) .

وتتصف الكليات في الطبيعة بأنها كليات ديناميكية، فالابتداء لمجموعة معينة لا يعطينا صورة صادقة عن الكل وعن النظام . أن الطريقة الجشطالتية تبتدا من الكليات نحو الأجزاء حيث أن الابتداء بالعناصر أو الأجزاء شيئاً محكوماً بالفشل .

فالذاكرة (memory) استناداً إلى ذلك ليست أجزاء جامدة مخزونة، لا علاقة للجزء الواحد منها بالأجزاء الأخرى، فما هو مخزون في الذاكرة ليس ثابتاً، فهي تمثل أفكاراً ناشطة وفي تفاعل ديناميكي ومستمر بعضها مع البعض الأخر .

إن الذاكرة السايكلوجية الحقيقية، ليست مجموعة من العناصر المنفردة كل منها معزول بصورة يسهل الوصول إليها دون بقيتها ولم تكن كذلك دائمة الترتيب، أنها جميعاً تشكل نوعاً من الارتباط التحكمي المرتبط بمفاهيم المعنى، والاقتراب والتكرار، والتعزيز .

ويشير الباحث " Arnheim , 1977 " بأن حالات انبثاق المثير تتجه مباشرة نحو الدماغ مكوناً حالة من التوازن، وان درجة تأثيراتها خارج الإدراك يعتمد على قوة الإدراك وخصائصه، وان عملية الإدراك تتحقق بفعل حالتين:

- العوامل الداخلية : أي الاتجاهات الخاصة بالفرد وأرادته، فهي تعبر عن الحاجات.

العوامل الخارجية : استناداً إلى ما موجود في الحقل الإدراكي والتي تتحدد من خلال:

أ – خاصية الجذب : بالاعتماد على القيم الإيجابية التي تحملها الأشياء أو ما يسمى بالجذب الموجه .

ب_ خاصية التنافر : استناداً إلى القيم السالبة التي تحملها الأشياء والتي لا تخدم الهدف، وان هاتين الخاصيتين تولد محركاً نحو الشيء أو عنه في تصوراتنا، فقد تكون ثقيلة أو مفسرة حقيقية .

فبذلك فأن طروحات (Arnheim) تحاول الربط ما بين القوة الداخلية المرتبطة بحاجات الفرد، والقوة الخارجية المرتبطة بالحقل الإدراكي، والأشياء التي تنجم عنها خواص الجذب، من خلال القيم الإيجابية التي تسهم في حقل حل المشكلة، وخاصية التنافر التي لا تخدم ما مطلوب ولا تحقق الهدف . أي أن حقل حل المشكلة يحتوي على خواص موجبة وجاذبة، وأخرى سالبة متنافرة.

- <u>الطروحات الغربية:</u>

الاتجاهات الوضعية الحديثة

اعتمدت الدراسات الوضعية المواقف التالية :

_ التكميم : كإشارة إلى البعد الكمي لأبعاد الظواهر الاجتماعية وتغيراتها، وعلاقاتها وعملياتها باستخدام العد والقياس .

_ السلوكية : استناداً إلى دراسة مدخلات (inputs) ومخرجات (outputs) السلوك الواضحة والظواهر القابلة للقياس .

_ الحسية : استناداً إلى التركيز على الإدراك الحسي، باعتبار أن حقائق الأشياء تتوقف على إمكانية حدوثها جزئياً أو كلياً بالاستناد على الانطباعات الحسية، من خلال تكوين نظام يرتبط بالتصور الإنساني ضمن عالم لمدركات .

_ النفعية : وتعتمد على تطوير لنظرية الفعل (action theory)، باعتبار أن نظرية الفعل تكون الأساس المرجعي للنسق الملموس، فالوضعية قبلت بفكرة أن الأهداف لا تخضع للتنبؤ العلمي أو الضبط . فبذلك آلت على تحليل الفعل على ضوء العناصر القائمة فهي بذلك لا تسمح إطلاقاً للعناصر المعيارية (normative) .

لقد ركزت الدراسات الوضعية الحديثة على اعتبار أن كل شيء يخضع للتنبؤ العلمي والضبط باعتبار أن العلم الوسيلة الأساسية لحل التناقضات وتحقيق التوازن، فالعلم يبتدأ بمجموعة من الملاحظات والتجارب البسيطة وعلى وفق ما يسمى بالمعطيات الحسية، وهذه تشكل معرفة بسيطة يتم بواسطتها التعرف على الأشياء وخصائصها وبعض الأحداث ويتم الانتقال إلى التجربة المختبرية، أي الانتقال من النوعي إلى الكم حيث تكون النتائج من خلال عمليات القياس، ويتم التعبير عن هذه الكميات والعمليات استناداً إلى اللغة الرياضية ذات الصفة الرمزية الدقيقة . كمحاولة في ربط المعرفة وتنظيمها وتقديمها في شكل موحد شامل، حيث تعتمد على وصف للعلاقات الثابتة التي تربط الأشياء والظواهر ببعضها، وان عملية الوصف تلك تسمى بالقوانين العلمية (scientific laws)

اعتبرت الدراسات الوضعية أن السلوك والتفاعل بين البشر المحركين ويقومان بدور مصدري للطاقة التي تحدث النقلات في الظواهر، باعتبار أن الشعور والدوافع والقيم معوقات نحو العلم الاجتماعي . وانه من الخطأ إصدار أي حكم قيمي على الواقع .

ركزت الدراسات الوضعية سواء كانت تجريبية أو منطقية على وصف الواقع المعطى والمحسوس وصفاً كمياً يعنى بسلوك الإنسان دون الاهتمام بتفسيره، وببواعثه المجتمعية الناجمة عن ظروف البناء الاجتماعي، باعتماد ما هو قائم باعتبار أن العالم هو دائماً على ما نحو ما يظهر لنا بغض النظر إن كان ذلك حقيقياً أو مزيفاً.

ان النظرة الوضعية حول التفاعل والسلوك تقوم على فكرة تجريد الإنسان عن مفهوم القيم (values) والمفاهيم (conceptions) ، وتعتبرها مقيداً للنمو والتغيير، فالوضعيون ينظرون إلى السلوك كسلوك قائم بذاته ناتج عن بواعث مجتمعية، وأن آلية بناء النسق الاجتماعي يرتبط بذلك السلوك.

فالدراسات الوضعية اهتمت بعلم الاجتماع كعلم قائم على وفق النظرة العلمية القابلة للقياس والتكميم والتعامل معها على أساس أنها شيئاً من الأشياء بعيداً عن المفاهيم القيمية التي تحكم المجتمع، وبذلك فأن الطروحات الوضعية تختلف تمام الاختلاف عن النظرة الإسلامية، حول أساس بناء النسق الاجتماعي القائم على فكرة القيم، ومحدداً ومقيداً بالمفاهيم التي تحكم سلوك الإنسان وحالاته التطورية . ومن هنا تظهر عبثية الوضعية، باعتبارها تقدم نفسها كمشروع قائم على أساس النفعية والتكميم . ويعتبر الباحث (جوزيف، كاميلري، ١٩٨٤)، بأن النسق الاجتماعي وحسب الرؤية الوضعية يقوم على تقليل أهمية النشاط الواعي عن طريق عزل الإنسان عن محيطه الفيزياوي والحيوي والاجتماعي بتخصيص وظيفة سلبية له ضمن النظام الاجتماعي.

وتشير النظرية الوضعية إلى النظرة الى العالم والتعامل معه كما هو قائم بغض النظر عن كون ذلك الظهور حقيقياً أو مزيفاً، باعتبار أن العالم يشير إلى معنى الحياة (life) والتفاعلات (interactions)، والأفعال (actions) إضافة إلى جانب البيئة (environment).

وبذلك فان المعطيات والطروحات الوضعية الاجتماعية لا تنسجم مع معطيات تشكل النظرية الاجتماعية الإسلامية القائمة على الارتباط بالقيم والمفاهيم والجوانب الثقافية والتاريخية، حيث أن الوضعيون قاموا على تجريد الإنسان عن محيطه، وعزله عن الجانب التاريخي، من خلال التركيز على الظاهرة الحاضرة والتعامل معها ومع معطياتها والية وضع الحلول لها، وبصورة مجردة الأمر الذي أدى بالابتعاد عن التقاليد، والقطع مع السياق التاريخي والثقافي الذي يعتبر الأساس في تشكيل النشاطات ذات الصلة الأساسية والفاعلة بتكوين النسق المعماري (architectural patterns) والية تكون الشكل كاستجابة لذلك .

إن فكرة النظرية الوضعية (positivism theory) في مفهوم التطور (evolution) تقوم على أساس التغيير الشامل (change) بغض النظر عن المرتكزات الأساسية لبناء المجتمع بشكل نتج عن الإخلال بعمق المرتكز الاجتماعي، وبذلك تحصل الهوة ما بين تلك الطروحات وطروحات البنائية الوظيفية .

- **الطروحات الإسلامية :**

تكمن أساسيات التوجهات الإسلامية بأنها مستمدة من الدين الإسلامي، شريعة وعقيدة، باعتبار أن الإسلام عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام شامل وكامل للحياة، ففيه العقائد، وفيه العبادة، ونرى أن الإسلام يولي اهتماماً كبيراً للعلاقات الاجتماعية، كنظام الأسرة، وكيفية التعامل مع الناس، ويهتم بالتربية الشخصية للمسلم، وتأثيره في أدق التفاصيل، فالإسلام يتصف بالشمولية والكمال والتوازن، قال تعالى :

(ما فرطنا في الكتاب من شيء)[1] وفي قوله تعالى

(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)[2]

فهذه النصوص جميعاً تؤكد على أن الإسلام يحيط بالحياة بجميع تفاصيلها، فمع الشمول هنالك التوازن الذي يشير إلى أن تشريعاته تشمل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والروحية، فالمفاهيم الإسلامية (Islamic conceptions) مترابطة ويكمل أحدهما الأخر .

ويرى (د . عباس العقاد ، ١٩٤٧) في كتابه الفلسفة القرآنية، بأن غرائز الإنسان النوعية واحدة، في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته، ولكن في الدين يختلف أكبر اختلاف لانه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر في النوع، ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها، وليس الغرض منها حفظ النوع، بل تقرير مكانه، في هذا الكون فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة ولكنه يتعلق من الدين بمعنى الحياة (27)

فالعقيدة استناداً إلى ذلك تحدد النسق الاجتماعي من خلال العلاقة ما بين الإنسان، والحياة ومصدر الحياة .

وقد حدد الباحث (جعفر العتريسي، ٢٠٠١) أدوات التجربة الإنسانية من خلال :

-وصف مادي يعبر عن جوهر وظيفتها الطبيعية .

- وصف فكري يعبر عن وجهة أدارتها الاجتماعية .

وقد أظهرت دراسات المجتمع الإسلامي بأنها ترتكز على مقومات تشمل أمرين :

- وحدة العقيدة التي جعلت من المسلمين امه واحدة .

- ما يدور حول وحدة السلوك في الدين والحياة، فبالإضافة إلى مرتكزات الإسلام الأساسية، فأنه أظهر خصائص متعددة فيما يخص أمور السلوك، ضمن أمور دينية، واجتماعية واقتصادية .

وقد أشار الباحث (د . بشير البياتي ، ١٩٨٢) بأن الله تعالى شرع لعبادة نظاماً كاملاً للعقيدة أودعه كل ما يتصل بالإيمان بالله تعالى، وشرع له نظاماً أخلاقياً يتعلق بأخلاق العباد، وما ينبغي أن تكون عليها، وشرع نظاماً كاملاً للعبادات، ونظماً متعددة في المعاملات تغطي جوانب الحياة جميعاً .

فأما العبادات فمنها لا يقوم إسلام المسلم إلا بها وأما المعاملات فقد نظمت لها الشريعة كتاباً وسنة واجتهاداً وفي جوانب الحياة المختلفة، والمسألة الجامعة بأنه لا توجد قضية تخص الفرد، والجماعة، إلا وكان لها في التشريع نصاً أو اجتهاداً .

لقد كان للدراسات الاجتماعية سبقها بالنسبة للحضارة الإسلامية، بالنسبة لبقية الحضارات، فبذلك فان السلوك الاجتماعي واستناداً إلى الطروحات الإسلامية محددة بما نصت عليه الشريعة الإسلامية، من خلال جملة المفاهيم الأساسية التي تشكل النسق الاجتماعي، وما يرتبط به من أعراف وقيم ومعايير، فالسلوك الاجتماعي الذي يعبر عن النشاط (activity) يتصف بأنه مقيداً من خلال ما آلت إليه أنظمة العبادات والأخلاق، ونظام العقيدة.

اتصفت دراسات العلامة العربي (بن خلدون) بأنها أقامت تصوراً كاملاً للنسق الاجتماعي، فقد ركزت طروحاته، حول (مفهوم العمران البشري) الذي يرتبط بمفهوم الاجتماع الإنساني، وربط ذلك بمدنية الانسان، باعتبار أن الاجتماع يمثل المدنية، وهو معنى للعمران . وقد حدد الباحث "د. محمود عبد المولى ، ١٩٨٠) بأن (بن خلدون) اتخذ فكراً جديداً في تحليله للنسق الاجتماعي، فالنظريات التي اهتمت بدراسة الظواهر الاجتماعية تمركزت حول ثلاث حقائق .

أ- طريقة تاريخية وصفية : تقتصر على دراسة ووصف الظواهر الاجتماعية وصفاً خالصاً وبيان ما كانت عليه، استناداً إلى فن التاريخ العام والخاص بذكر الأنظمة العامة وأنظمة المجتمع المتعلقة بالتقاليد والأعراف والأسرة واللغة في طريقة وصفية بحتة كما فعل (الشهرستاني) و (ابن حزم) في دراستهما (لتاريخ الملل والنحل) .

---

(1) سورة الانعام، الآية ٣٨

(2) سورة النحل، الآية ٨٩

ب- الطريقة التبشيرية : وهي دعوة إلى مجموعة الظواهر الاجتماعية المقرة بالفعل وبيان محاسنها وترغيب الناس فيها مع التحذير من تجاوز حدودها، كما فعل " الغزالي " في (إحياء علوم الدين) .

جـ- الطريقة الطوباوية : وهي الطريقة التي تعنى بما ينبغي أن تكون عليه الظواهر الاجتماعية بموجب المبادئ الطوباوية والمثالية، كما فعل الفارابي في (آراء أهل المدينة لفاضلة) .

أما المنهج الذي اتخذه " بن خلدون " في دراسته للظواهر الاجتماعية فقد تمحور حول الكشف عن طبيعتها، وماهية القوانين التي تخضع لها، شأنها شأن بقية الظواهر الكونية، كظواهر طبيعية وهو أول من ربط علم الاجتماع بالعلم الطبيعي، مؤكداً على أن دراسة ظواهر الاجتماع الإنساني على هذا النسق، لذا فهو يقول [أن الكلام في هذا الغرض متمدن الصنعة ، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر علية الشيء، وأدنى علية الغوص] .

لقد تناولت أبحاث " بن خلدون " في نظريته إلى مفهوم التطور في العمران وتفسيره لذلك الاتجاه بعوامل ترتبط بمفاهيم العصبية، باعتباره يمثل المزاج المتكون، فالتطور لا يتكون إلا إذا تكافأت عناصره . وقد استعرض هذا المفهوم في تعرضه إلى مفهوم (الصراع) القائم على التناقض والذي يعتبر الأساس في تكون العمران البشري واستمراريته .

واستناداً إلى ذلك فان نظرة بن خلدون نحو نظرية الاجتماع الإسلامي تقوم على أساس تحليلي، ومن ثم الربط ما بين ذلك وطرح فكرة التطور، باعتبار أن أي نظام يتصف بالتطور، وقد تركزت طروحاته عبر مفهوم الصراع (conflict) .

إضافة إلى أن هنالك العديد من الدراسات الإسلامية المعاصرة قد تناولت دراسة المفهوم الاجتماعي (social conception) وتأثيره وتأثره بالمفاهيم (conceptions)، والقواعد (rules)، والأعراف (norms) . فأنظمة الإسلام من حيث اصولها وقواعدها الأساسية عامة من حيث الزمان، وعامة من حيث المكان، فهي بالنسبة للزمان لم تكن شرعية لزمن دون غيره، وأساسها الزماني، أنها مشرعة بعالم غيب الماضي والحاضر والمستقبل، ولا يغيب عن علمه ما يصلح لمستقبل الزمان وتبدل الأحوال، ضمن منهج الحياة البشرية، لأن التطور أساسه معلوم عند الخالق تعالى :

[عالم الغيب لا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض][٣]

فالرسالة السماوية أزلية المكان والزمان، كما تضمنت المبادئ والأحكام وما يلزم التشريع الدائم الذي يصلح للزمان كله، والذي يستعلي على التغيير والتبديل والزيادة والنقصان

[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً]

الادراك الحسي للانسان وعلاقته بالثقافة وتحديد شخصية الفرد

أكد البحوث، أن الصورة الإدراكية الذهنية والمرئية والسمعية والملموسة من قبل الأفراد للعالم الخارجي، التي تتفاعل فيها الألوان والمجسمات والجوانب العاطفية، تعكس عموماً جانباً حياً معقداً وعميقاً من شخصية الفرد.

وأوضح الدكتور نديم سراج، اختصاصي طب العيون في ألمانيا، وصاحب نظرية فن الجمال العملي، أن الكثير من العلوم، كعلم النفس والطب والعلوم العصبية الحديثة، التي تتشعب منها الكثير من التخصصات الطبية كطب البصر وغيرهما من العلوم الأخرى، قد تشترك في استيعاب تلك الصورة الإدراكية وتفسيرها وفهمها، فهي غالباً ما تعبر عن دلالات وبصيرة وفهم واعي للزمان والمكان والسطح واللون، وكل ما له صلة بعالم الفرد من خيارات حية فاعلة أو نمطية جامدة.

وأشار إلى أن هذا الإدراك الحسي للفرد قد يتناشز ويضطرب في بعض الأحيان، جراء الحالة النفسية، أو اضطراب الأعصاب الحسية (البصرية والسمعية والشمية)، أو تلك الأعصاب الناقلة للمنبهات الساقطة على حالة اللمس.

ولفت إلى أن اضطراب الإدراك الحسي، يعني انتقال الصور الذهنية للإنسان بشكل مشوش، يفتقر إلى القدرة على التمييز، بمعنى أن تصبح هذه المثيرات والنماذج الساقطة على البصر، ومن مختلف الزوايا، غير مميزة، أو مطابقة لما يراه الفرد العادي، فتظهر النماذج كهيكل من دون أجزاء وألوان وسطوح، كمن يشاهد ضفدعاً من دون تمييز لونه وحجم وشكل وتركيب هذا الكائن الحي، حتى إن هذا الفرد الذي فقد إدراكه الحسي يصبح غير قادر على تمييز عضة الكلب، التي لم تعد لها صورة ذهنية راقدة في مخيلته أو ذاكرته.

وفسّر الدكتور سراج الأمر بأن الإدراك الحسي يتأثر بثقافة الفرد وخبرته وإدراكه للأشياء، وصور فن الجمال ليست عبارة عن مرآة جامدة، غير متوحدة، بل هي متأثرة بالموروث القيمي، والعرف الاجتماعي

المتفق عليه، مؤكدا أن بإمكان الإنسان أن يتحرر من قيوده وبعض خبراته السابقة، عندما يتعرض للانفتاح على العالم، والمواقف الجديدة، التي قد يرافقها نوع من الإبداع والتميز والابتكار، جراء الانفتاح الفكري غير النمطي.